

البصرة

إطلالة العراق ووجهه المشرق

المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثراً مرة، ومستوياً على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلاً ديمقراطياً بناءً يتمخض عن خلاصة (كارزمية)، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبرّ الأمان.

هذه الخلاصة تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ماقبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكيلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مورست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابته أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولا ننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جليّ تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضاً أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقتها من عدة أمور:

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة تحميه من الذئب المفترض والذي يتربص بالغنم القاصية كما أنها (أي: الأولى)، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقاً إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمتع في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضارباً عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحديقهم أبداً نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المني.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحقّة قولاً وفعلاً؛ كي لا نتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لا يستهدف سوى البناء والإعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديمقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكراً أهلها بأن الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعياً اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم اصدارها هذا والمسمى (رحلة الكلمة)، فهي راغبة في أن يطلع العراقيون جميعاً على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وبأسلوبه الجميل في الطرح.

لا يوجد بين الفصائل الوطنية العراقية عدو فكلهم إخوة.. نريد من يضحي بنفسه من أجل أهل البصرة، ويؤثر الآخرين على نفسه، متمثلاً بقول المتنبي: (الجيش جيشك غير انك جيشه).

.....

ما أروع أن تحمل المرأة البصرية لواء المسؤولية، ويدفعها أبنائها وإخوانها وآباؤها وأمهاتها من أبناء العشائر لتحمل بذلك رسالة جديدة إلى العراق كله، مفادها: أن المرأة اليوم لم تعد متخلفة، بل تتسابق، وتحشد.. كل القبائل اليوم تدفع أبنائها وكذا تدفع بناتها إلى المسؤولية.

.....

البصريون وهم يحملون همّ مدينتهم إنما يحملون همّ العراق؛ لأننا نعتقد أن العراق القوي قوي بكل مدنه.. العراق القوي قوي باقتصاده، وصناعته، وتجارته، وخدماته.. قوي بالمواطن العراقي الذي يأخذ حقوقه، ويؤدي واجباته.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته محافظة البصرة بتاريخ

2009/1/24

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز :

((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)).

السلام عليكم سلام مُحب، وعاشق لأبناء البصرة، الذين بفضل أخلاقهم، ومواقفهم المشرفة اقترن اسم المدينة بأهلها.

من عطاءاتكم المتعددة تمتدون إلى المدن الأخرى، وتعيشون مع الآخرين حتى من موقع البعد الجغرافي.. ربما تتباعد المسافة الزمنية بين زيارة وأخرى منذ نحو السنتين، لكن البصرة تأبى إلا أن تمتد بأخلاقها وفكرها وأدبها لتشمل كل المدن وصولاً إلى بغداد، فلا يسعني إلا أن أقدم لكم أحرّ المشاعر، وأصدق الأحاسيس، وأطبع على جباهكم أحرّ القبلات الأبوية.

البصرة عظمى البصريتين.. البصرة هنا في العراق عظمى البصريتين مقارنة ببُصرة المغرب، وأكبر العراقيين مقارنة بكوفة العراق. . البصرة عنوان الأدب والفكر حيث (الأصمعي) و(الفراهمدي) بعروضه، وحيث (بدر شاكر السياب) وأنشودة المطر، وحيث البصرة حين تقدم نتاجاً بعد آخر، وطاقة بعد أخرى، وقبل هذا وذاك البصرة مدينة الشهداء.. مدينة (عارف البصري)، الذي اتسع بعقله إلى الفكر المتحضر، واتسع بعقله وقلبه إلى كل الناس، وأبى إلا أن يتّوج حياته بإكليل الشهادة.

مدينة البصرة هذه المدينة الشامخة التي مثلت ثغر العراق الباسم على طول التاريخ، فهي إطلالة العراق، ووجهه المشرق من الخليج.. البصرة التي تأبى إلا أن تكون مبتسمة، حزنت، وتألّمت لآلام المستضعفين في كل منطقة من مناطق العراق، وبكت دماً عندما نزلت جراح حلبجة والأنفال ومناطق الوسط المتعددة.. بكت، وتألّمت عندما تعرضت دولة الكويت إلى الهجوم، ولم تقف عند حدود كونها تتألم من دون حرقه، بل أشعرت العالم في الوقت الذي حاول النظام المقبور أن يشيع ثقافة الاحتلال، وثقافة التسيّد، هدرت بصوتها إلى جانب أختها الناصرية؛ فأشعلت شرارة انتفاضة عام (1991)، هذه الشرارة التي حوّلت الانتفاضة، إلى ثورة عارمة امتدت إلى كل محافظات العراق.

البصرة التي سمعت صوت الكويتيين، وأنت لأنينهم هي وأخواتها من المحافظات، وشاطرهم ما تعرضوا إليه من انتهاك، فقد تعرضت حرائر العراق أيضاً إلى الانتهاك، ومثلما سُلبت أموال الكويتيين، فقد سُلبت أموال العراقيين.

تبقى البصرة عنواناً لكرامة العراق، ووحدة العراق، وثروات العراق.. هنا في البصرة يتشكل المجتمع البصري، ويأبى إلا أن يعكس بمركباته مركبات المجتمع العراقي بتلويناته المختلفة، وتعدد دياناته ومذاهبه، وتعدد قبائله، وتعدد الأنواع السياسية.. البصرة هذه الحاضرة الرائعة التي تغنى بها الشعراء منذ أن تأسست البصرة منذ نحو أربعمئة سنة إلى اليوم.. البصرة الزاخرة بالمواهب والخيرات صاحبة الهويات المختلفة، تجمعها الهوية الوطنية العراقية.. هنا في البصرة معقل الأبطال والشهداء الذين ضحوا لأجل أن يحافظوا على سيادة بلدهم.. لابد للبصرة من أن تتجاوز الحالة الاستثنائية التي هي فيها.. لابد من أن تقوى البصرة، وترتقي إلى مستوى ما حباها الله من نعم متعددة فهي إطلالة العراق على الخليج، وهي الخزين النفطي، وهي المعبر لكل الخيرات من العراق وإليه، وهي مصدر الخيرات.. هي الزراعة.. هي النخل الشامخ.. هي التنوع في كل مجال.. هي صوت الثقافة.. هي الجامعة لخزينة العلم التي تعدنا لمستقبل واعد من خلال أبنائها وبناتها.

البصرة تريد أن تصنع من نفسها مدينة لتكون أنموذجاً لبقية المدن.. تريد أن تتوازن في حركتها باعتبارها الأكبر العراقي بعد بغداد.. تريد أن تأخذ حجماً يتناسب مع ثرواتها وإمكاناتها.. تريد أن ترفض الوقوف من حيث هي.. تريد أن تتحرك نحو المستقبل؛ لتعكس من خلال وجهها المنشود وجه العراق الحضاري، هذه هي البصرة.. هذه طموحاتنا التي نعلقها على أبناء البصرة وبناتها.

نأمل أن تحقق المواسم القادمة، نتاجاً رائعاً وحقيقياً يسمو بالبصرة إلى حيث ما يتناسب مع خيراتها المتعددة، ونريد لعلامات الفقر أن تختفي.. نريد للثقافة أن تشق طريقها من بطون الكتب إلى الحياة الحقيقية.. مثلما كانت البصرة في التاريخ، وظلت متواصلة مدينة الثقافة وعنوان والفكر والحضارة، نريد لها أن تمثل العمق العراقي، مثلما تمثل الأكبر العراقي من حيث السكان بعد العاصمة بغداد، لابد من أن تنعم بخيراتها، وتعم بخيراتها وثقافتها إلى جانب أخواتها من المدن الأخرى.

نريد للبصرة أن تحقق في كل موسم انتخابي انتقالاً نحو التكامل، وارتقاءً إلى القمة بل إلى القمم في كل شي.. هناك برامج معطلة، وهناك ثروات معطلة، والبصرة تنتظر أبنائها وبناتها لكي يفجروا هذه الطاقات، فالبصرة تبحث عن الأمناء... عن الأكفاء.... عن الأقوياء الذين سيأخذون على عاتقهم إحداث فرق نوعي في كل مجال من مجالات الحياة. تيار الإصلاح يعي طبيعة المهمة التي تنتظر المرشحين

في البصرة، يعي أن المهمة كبيرة وشاقة، فبانتظارهم رحلة طويلة كي يقطعوا هذا الطرق الطويل، ويواجهوا العقبات.. نحتاج إلى شجعان.. نحتاج إلى أكفاء، وطاقات خيرة عقدت العزم على أن تضحي بنفسها من أجل شعبها، وأبناء هذه المدينة.. نريد لهؤلاء الأبطال أن يتقدموا بالترشيح من كل القوائم من دون استثناء ليتسابقوا للبناء، ويقضوا على أعدائهم الحقيقيين الفقر، والجهل، والمرض، والتخلف من دون أن يسمحوا لأنفسهم بأن يصنعوا أوهاماً من العداوات.

لا يوجد بين الفصائل الوطنية العراقية عدو فكلهم إخوة.. نريد من يضحى بنفسه من أجل أهل البصرة، ويؤثر الآخرين على نفسه، متمثلاً بقول المتنبي: (الجيش جيشك غير أنك جيشه).

نريد الذين يتطلعون إلى الصعود بالبصرة.. إلى الارتقاء الحقيقي.. إلى مكافحة ظواهر التخلف.. إلى الارتقاء بمستوى الخدمات؛ لكي تنتقل البصرة إلى حيث ما ينبغي أن تكون، لا يكفي أن نتغنى بتاريخ هذه المدينة الباسلة، إنما نريد من يصنع لها ما ينبغي أن يكون، ولا يتم ذلك إلا من خلال خطط وبرامج تتكفل بتقديم الصورة الأخرى، والأنموذج البديل لنصنع المستقبل.. للبصرة الضاحكة، لا الحزينة.. للبصرة العامرة، لا المخربة.

هذه المدينة تنتظر رجالاً ونساء يأخذون على عاتقهم خوض غمار المعركة الحقيقية ضد التخلف؛ لذا من الطبيعي أن يتحرى تيار الإصلاح خيرة من يعتقد بكفاءتهم، وإخلاصهم، وإيثارهم حتى يستطيعوا أن يدفعوا بعجلة البناء نحو المستقبل، ويعيدوا للبصرة نخلها، وزرعها، وثرواتها المختلفة؛ حتى تتسنى موقعها المنشود، وتكون نافذة العراق على كل العالم، ويبدأ العالم يتجه للبصرة؛ ليلتقي بأرضها مع الفكر والأدب والتاريخ.. هذه المدينة التي عُرفت بطول تاريخها، تأبى إلا أن تكون متقدمة في مناحي الحياة.. ومن الظلم والحيث أن تتراجع ولديها مثل هذه الخيرات.. من الحيث أنها تراوح في مكانها ولديها رجال كرجالكم ونساء كنسائكم.

أحمد الله، وأشكره على هذه الطاقات الهائلة.. فقد قرأت عن تاريخ المرشحين وسيرهم الذاتية فوجدت فيهم أصحاب اختصاصات مختلفة.. نريد لهذه الباقية الملونة أن تعكس بألوانها ألوان المجتمع البصري من خلال اختصاصاتهم.. نريد مهندساً وأستاذاً في الجامعة وطبيباً وممثلاً ورياضياً وابن قبيلة وبنت القبيلة وحقوقياً وعاملاً ومزارعاً، هؤلاء جميعاً يشكلون نسيج البصرة المنسجم بألوانه المختلفة.

ما أروع أن تحمل المرأة البصرية لواء المسؤولية، ويدفعها أبناؤها وإخوانها وآباؤها وأمهاؤها من أبناء العشائر لتحمل بذلك رسالة مجيدة جديدة إلى العراق كله،

مفادها: أن المرأة اليوم لم تُعد متخلفة، بل تتسابق، وتحشد.. كل القبائل اليوم تدفع أبناءها وكذا تدفع بناتها إلى المسؤولية... ها هي البصرة اليوم تتخطى كل حواجز التخلف، وتأبى إلا أن تتقدم، وتحدث وعياً حقيقياً على مستوى الدستور وعلى مستوى القانون.

نريد للعراق أن يكون عراقاً أصيلاً كوجه للبرلمان، ونريد للعراق أن يكون عراقاً وطنياً كوجه للسلطة القضائية.. نريد أن تُفتَح أبواب الدوائر للتعيينات ليس من أجل الكسب، ولا منة على أبنائنا وبناتنا بل لأجل أن يشقوا طريقهم في دوائر الدولة؛ لأداء واجبهم، والدولة في خدمتهم؛ لذا ينبغي أن يميّز كل موظف من الموظفين أنه إنما يدخل أروقة الدولة وأجهزتها فدخوله لها من جهة أن له حقاً على البلد، ومن حق البلد عليه أن لا يكون مرتعاً كأنه خاضع لأية قوة من القوى.. أخص أهالي البصرة الذين أعاروا جباههم، وأعطوا دماءهم، وكل ما لديهم من أجل تحرير العراق.

ينبغي أن يكون جيل البصرة الحاضر امتداداً لجيل البصرة السابق الذي باع نفسه لأجل بناء هذه المدينة، كجزء من بناء العراق كله، على أن لا يرهن نفسه لأحد بدعوة للتعيين، أو الضغط أو الغصب، أو أي شيء آخر، ومن يبيع نفسه للمبدأ والوطن إنما يبيع نفسه لله (سبحانه وتعالى)، قال تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ}

تواجدكم في الانتخابات، وإصراركم على خوضها إنما هو رسالة لقطاع الطرق الذين يحاولون أن يشعروا أبناء شعبنا أن الانتخابات انتقت مبرراتها؛ لأنها جاءت ببعض الضعفاء، والمنتفعين.. حضوركم في الانتخابات يعني مقاطعة المنتفع والفساد، وسيأتي الناخب متتوراً متسلحاً بثقافة الوعي للمرشح، الذي ينزل عند الطموحات الحقيقية المعطلة في مدينة البصرة ببرامج وخطط ينفذها الأكفاء الذين يستطيعون من خلال عقولهم، وقابلياتهم، وإصرارهم على تطبيق الخطط؛ حتى ينتقلوا بالبصرة إلى ما ينبغي أن تكون عليه، وستكون الجولة الانتخابية القادمة خطوة أساسية في عملية البناء والتنمية نحو المستقبل، نحو بناء البصرة، واستعادة حقوقها المسلوبة.. هكذا ننظر إلى الانتخابات وعليه فالانتخابات ضوء واحد فاصل لكل موعد من مواعيد الانتخابات، وستكون هناك مواعيد فاصلة يحقق مجتمعنا فيها بطولات نوعية نحو الصعود للمستقبل.

لامعنى لأن نقاط الانتخابات؛ هي تعني مقاطعة للمخلصين، والحضور فيها خطوة أساسية ينبغي أن تتلوها خطوات أخرى، منها: وعي الترشيح والمرشحين

وبرامجهم، وإيجاد حالة من الانسجام بين المرشحين، لأنها عملية تنافس تكاملي شريف.

ننتظر من أهل البصرة أن يحققوا فروقاً حقيقية تتكامل فيها الجهود، وتصب فيها كل الطاقات من أجل أن يضعوا حداً لهذه المهازل، وللتقافات التي بدأت تتفشى، وتنتشر في أوساط مجتمعنا.. مشاركة أهل البصرة في الانتخابات تعني إصرارهم على الارتقاء بمدينتهم إلى مستوى المدن الكبرى في العالم جغرافياً وتاريخياً، ولها أن تفكر بذلك - والغريب أن لا تفكر بذلك - وقد حباها الله (تبارك تعالى) بمختلف أنواع النعم.

البصريون وهم يحملون همّ مدینتهم إنما يحملون همّ العراق؛ لأننا نعتقد أن العراق القوي قوي بكل مدنه.. العراق القوي قوي باقتصاده، وصناعته، وتجارته، وخدماته.. قوي بالمواطن العراقي الذي يأخذ حقوقه، ويؤدي واجباته.. هكذا نصنع العراق الجديد، وأهل البصرة الذين تواجدوا في كل مكان، وعملوا من أجل العراق وخير العراق ما بخلوا بدمائهم، ولم يخلوا بطاقتهم وقابلياتهم فقد ملأوا كل الاختصاصات، وصدحوا على مسرح الفن، وملاعب الرياضة، والمعامل، ومجالات الصناعة المختلفة، والزراعة، وفي كل مكان صدحوا حتى في مجال الأدب والشعر، وفي كل شي تجد البصريين متقدمين، وهذا فخر للعراق.

البصريون كانوا بكل اعمالهم وأفعالهم لكل العراق، ومن ذلك الموقع لهم الحق في أن يكرّسوا هوية هذه البلدة الحبيبة التي تمثل طموحات كل العراقيين وآمالهم.

فلكل أهل البصرة، لشبابهم، وأطفالهم، ولكبارهم وصغارهم، ولرجالهم ونسائهم أقدم أحرّ التحيات، وأعقد عليهم أكبر الطموحات ، حتى ينهضوا بهذه المدينة المحرومة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تجربة الإسلام في إسبانيا استمرت قرناً، لكن مع ذلك نجد أن النصارى كانوا يذهبون إلى كنائسهم بملء حريتهم، وكان اليهود أيضاً يذهبون إلى كنيسهم بملء حريتهم، حتى أن القلة من اليهود كانت تشكل جزءاً من المجتمع الإسباني، وكانت

قد وصلت إلى مستوى الوزارة من دون أن تضيق الدولة ذرعاً به، هذا ما يقوله التاريخ بأمانة عن تاريخ الإسلام عندما انتشر، واتسع في بلدان العالم الآخر، بل إنه دائماً كان يتسع للآخر، وكانت شعاراته، ومفاهيمه، وادعاءاته محاذية للواقع.

.....

من ثرواتنا المهمة والمعطلة اليوم هي الثروة التجارية، ولنا الكثير من ابنائنا وبناتنا في الخارج يملكون ثروات ممتازة، يستطيعون أن يساهموا في تنشيط السوق، لكن يخافون الاستثمار في العراق، وكما يقول المثل: رأس المال جبان، لذا يجب أن نؤمن لهم الوضع الأمني.

.....

ما أريد أن أخلص إليه هو أن المجتمع حين يكون مثقفاً، ومتماسكاً يحترم كل الآراء وإن تنوعت، ويجيد فن التعاطي مع الآخر، ولا يقصي أحداً من وقع الاختلاف.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته غرفة تجارة البصرة بتاريخ

2009/1/24

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

ربما من الأفضل حين آتي إلى مثل هذه الاجتماعات أن أكون متلقياً، ومستمعاً؛ لأستثمر الفرصة لقراءتكم من خلال الأحاديث التي أتوسّم فيها أن تكون بالنسبة لي روافد للثقافة من خلال اختصاصاتكم، ومن خلال اعتلائكم منابر الجامعة، وأنا أقدر جيداً أن منبر الجامعة يمثل أقصى مدرجات العطاء الفكري والثقافي.

أعتقد أن كل ظاهرة من الظواهر ترتكز على فكرة، وما من تصرف، وسلوك، وما من مفردة سلوكية حسنة إلا وتعكس مفهوماً صحيحاً وحسناً، وما من مفردة سلوك شاذة ونشاز وسيئة إلا وتعكس مفهوماً سيئاً. لقد اتفقنا أن الأغراض الاجتماعية كلها تعكس فكراً ومفاهيم، ومن خلال مجموعة المفاهيم تنتظم النظرية المعرفية؛ لذلك فأهم العالم اختلفت في حضاراتها، واختلفت في مفاهيمها واتجاهاتها بسبب اختلاف النظر المعرفي، فمنها من التجأت ليبرياً كما هي الحضارة الأميركية اليوم، ومنها من اتجهت اتجاه مادياً جدلياً كما نحتت المدرسة الماركسية منذ أن انتصرت على مسرح الاتحاد السوفيتي عام 1917 بالثورة البلشفية الى ان انتهت عام 1985، ومنها من اتجهت اتجاه تجريبياً كالوجودية، ومنها من اتجهت اتجاه طبقياً، وهكذا أخذت النمطيات الحضارية حصتها من التطبيق، ثم سرعان ما أفلت وغاب نجمها عن سماء الحضارة. لذا يعتبر تعدد النظريات النمطية ظاهرة سلبية، وتشكل خطراً؛ فنجد في تراثنا وتاريخنا أن التعدد مسألة طبيعية جداً، ونجد في تاريخنا الموهل في القدم أنه عندما انتشر هذا الفكر في كل مناطق العالم نشر معه وحفظ حالة التعدد، ولم يختنق بالآخر فكان الآخر يأخذ حصته من التفاعل، وحجمه بالظهور دون غضاضة.

تجربة الإسلام في إسبانيا استمرت قرناً، لكن مع ذلك نجد أن النصارى كانوا يذهبون إلى كنائسهم بملء حريتهم، وكان اليهود أيضاً يذهبون إلى كنائسهم بملء حريتهم، حتى أن القلة من اليهود كانت تشكل جزءاً من المجتمع الإسباني، وكانت قد وصلت إلى مستوى الوزارة من دون أن تضيق الدولة ذراعاً به، هذا ما يقوله التاريخ بأمانة عن تاريخ الإسلام عندما انتشر، واتسع في بلدان العالم الآخر، بل إنه دائماً كان يتسع للآخر، وكانت شعاراته، ومفاهيمه، وادعاءاته محاذية للواقع.

النظرة البسيطة اليوم لتطور المجتمعات الحديثة، هي انتصارات لا ننكر أننا سجلنا سبقاً في تاريخنا عليهم، اليوم في نهاية 2008 وبداية 2009؛ يسجل الملونون في الولايات المتحدة انتصاراً بعد رحلة دامت 225 سنة منذ الرئاسة الأولى لـ(جورج واشنطن)، حتى الرئيس الثالث والاربعين (جورج بوش)، كان الأسود محظوراً عليه ليس فقط أن لا يصل إلى مستوى رئاسة الجمهورية، بل حتى عام 1968 كان الاسود لا يستطيع أن يجلس الى جانب الابيض في الباص!! وكان يعاني من العنصرية، وكذا الحال بالنسبة لحقوق المظلومين في أمريكا إلى نهاية القرن العشرين، رحلة طويلة إلى أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه، بينما نجد أن الفكر الإسلامي اتسع للآخر منذ أن طرح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، منطلقاً من ذلك المبدأ الإنساني في القرآن الكريم :

((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)).

نجد أن الأسود إلى جانب الابيض أخذوا حقوقهم، وكان المعيار هو التقوى وليس التمييز العنصري، وكذا الحال بالنسبة للمرأة، هي الأخرى كانت قد أُقصيت من مسرح الدول الغربية في مجتمعها سياسياً حتى دخلت القرن العشرين، وهي بعد في القرن العشرين لم تمنح حق التصويت في الانتخابات.

الدستور الأميركي وبعد تعديله عام 1919، في ذلك الوقت فقط أصبح للمرأة الأميركية الحق في أن تصوّت، ولم تكن بريطانيا بأفضل حال ففي عام 1945 اقر للمرأة حق التصويت، وكذلك سويسرا التي تعتبر أنموذجاً واقعياً في عام 1977 منحت المرأة حق التصويت.

اما في الإسلام فقد مُنحت المرأة حق البيعة، وهي أرقى وأعلى صور التعامل السياسي، وهم يبايعون تحت الشجرة مجموعة من النساء، ومجموعة من الرجال يبايعون الرئيس، والقائد النبي، والقاضي، والحاكم، يبايعونه على الحكم، إذن فنحن لا نعاني من أزمة فكر، ربما نعاني من أزمة تقاليد شوّهت صورة الفكر الذي فهمناه سابقاً. كان بودي (والحديث للدكتور الجعفري) أن أتعّمّق أكثر بهذا الشيء (حقوق المرأة)؛ لأن اليوم يتم التلوّيح بوجود حالة إقصاء، وإبعاد في فكرنا، وتراثنا، ومبادئنا ويؤسفني أن الكثير من المثقفين ممن يقرأون تاريخهم، وفكرهم، وتراثهم في أذهان الآخرين ورأيهم، وهذه مأساة.

ينبغي أن ننفتح على فكر الآخر، ونستمع الى فكر الآخر، ونرى ما عند الآخر من أفكار، ولكن يجب أن نتقصى فكرنا، وتاريخنا، وتراثنا، وقيمنا، ومبادئنا، وكل ما يرتبط بنظرياتنا، ونقرأه قراءة دقيقة؛ حتى نفهم أنفسنا جيداً، وننصف أنفسنا فيما لنا وما علينا.

تاريخ حضارات العراق، وتاريخ القانون الجزائي، ومسلة حمورابي كانت تعتبر بواكير لفكر القانون الجزائي، كما كانت مسلة حمورابي، وكذلك الحال في مسلة حمورابي التي سجلت سبقاً في الدفاع عن حقوق المرأة، كذلك الحال سجلت سبقاً حضارياً في توزيع المياه، والثروة المائية على الفلاحين، والكثير من المضامين كانت قد سجلتها، من دون شك هذه لم تكن بعيدة عن العقل العراقي في ذلك الوقت، بل لا بد أنها أيضاً أخذت تلقايتها، وإسقاطاتها في العقل العراقي على مر التاريخ؛ لذلك الإنسان الذي يمتلك مثل هذا التراث، وهذا الفكر يعرف كيف يحافظ عليه، ويطوّر هذا الفكر من ماضي العراق إلى حاضره، وكذلك يخطط للمستقبل.

العالم اليوم يعاني من أزمة ثقافية، لأن هنالك استهدافاً للثقافة، وهناك فراق ثقافي كبير.. هذه الأزمة الثقافية تتجلى معالمها في أن من يكتب، ويفسر التاريخ إنما يكتب ويفسر من وحي إما السلطة، وإما الإمكانية، أو الحَجَر الإعلامي.. هذه مأساة، وأسوأ من أزمة الثقافة هو ثقافة الأزمة، فالبعض يحوّل الثقافة إلى غطاء لتمرير الأزمات، وتستبدّ به العقدة الطائفية؛ فيستبدل التعايش المذهبي بالتعصب الطائفي، ويتخذ من الثقافة غطاءً له، وينذر، ويفلسف، وهذا تثقيف على الأزمة.

ثقافة الأزمة هي أن تستبدل الانحدار القومي الطبيعي الذي لا دخل لنا فيه أصلاً، بنزعات شوفينية عنصرية، تحاول أن تؤدج هذا الانحدار القومي، لتجرّ البلد إلى ما جرت به إليه.. فحتى نستطيع أن نسهم في بناء العراق الجديد، وحتى ينفتح بعضنا على البعض الآخر، وحتى نقيم دولة، هذه الدولة يجب أن تقوم على مجتمع متماسك، يحب بعضه البعض الآخر، ويحترم الخلاف، وإذا أراد أن يتحاور من موقع الاختلاف، ليتحاور من موقع البرهان :

((قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)).

نتحاور من دون أن نقصي الآخر، ونهدده، ومن ثم ندفعه لأن يبذل القلم بالبندقية؛ كي نتحارب.. فكلما امتدت الثقافة تقلصت عمليات الخروج على حالة التوتر التي بدأت تهدد العالم في كل الدول من دون استثناء.

مجلسكم الكريم هذا، فيه أيضاً من الإخوة المهتمين بالشأن التجاري، والشأن الفني لذا سنعرّج على أن يأخذ العراق أهمية في هذا المضمار، في مضمار التجارة، والفن، وشرف للمشغولين والمشاركين في شؤون التجارة، ان الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان تاجراً، والبصرة هي عصب التجارة بالنسبة للعراق، لذا علينا أن ننشّط كل شي مرتبط بالبصرة من حيث الإنتاج داخل العراق وخارجه؛ حتى تنشط تجارة العراق، وإنما اختار (ابو جعفر المنصور) بغداد كعاصمة لأسباب تجارية، كونها على ضفاف دجلة، وحتى تكون قريبة على وسائل النقل، ولم يخترها لأسباب حربية. التجارة، وأبواب التجارة، والعمل بالتجارة، من الأمور التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية، والتجارة والمكاسب من أعقد الفصول في أبواب الفقه؛ لأنها تعنى بتنظيم عمل التجارة، ليس فقط بما تدرّه من فوائد على البلد، ومدى تأثيرها على الميزانية العامة، إنما تريد أن تضيف بُعداً أخلاقياً ومعنوياً، لذلك جاء في الحديث الشريف:

(من لم يتفقه بالتجارة فقد وقع في الربا).

(التاجر فاجر حتى يتفقه بالدين).

لكي لا يتمظهر الاحتكار في كثير من المعاملات على شكل سلوكيات، فتنمزي حياة المجتمعات كما هو اليوم، حيث الاقتصاد العالمي يتعرّض إلى انهيارات سريعة لأنه غلب المصلحة الفردية، والشخصية على المصلحة العامة والاجتماعية، فقتلت روح الإبداع، بالسوق الحرة، أو كما اعتمد على السوق المغلق، أو السوق العام الذي أدى إلى حصول انهيارات في الماركسية، وانتهت، والآن بدأت النظرية الرأسمالية تتراجع، بعد النكسة الأخيرة التي حصلت في نهاية عهد الرئيس الاميركي السابق (جورج بوش).

من ثرواتنا المهمة والمعطلة اليوم هي الثروة التجارية، ولنا الكثير من ابنائنا وبناتنا في الخارج يملكون ثروات ممتازة، يستطيعون أن يساهموا في تنشيط السوق، لكن يخافون الاستثمار في العراق، وكما يقول المثل: رأس المال جبان، لذا يجب أن نؤمن لهم الوضع الأمني، وبالنسبة لنا سنستقطب رؤوس أموالنا من خلال أبنائنا وإخواننا وأخواتنا الموجودين في الخارج، وسيكون مردوده إيجاباً على الاقتصاد العراقي؛ فيفترض أن نفتح أبواب الاستثمار والإعمار والبناء والتجارة، وما شاكل ذلك حتى نعيد للعراق قوته التجارية، وينعم أبنائنا بخير البلد.

مثلاً يسجل العراقيون في تاريخهم بادرة التجارة والحضارة والثقافة، فذلك الفن حيث بدأت بواكيره في العراق من خلال القيثارة رمز الفن منذ وقت مبكر هي في العراق، وبذلك يكون للعراق بصمة وسبق في كل المجالات، ولكن الفنانين اليوم - للأسف الشديد - لا يزالون يعانون الكثير من الحيف، في عدم استثمار طاقاتهم بالشكل الذي يسهم في معالجة الكثير من مشاكل البلد.

العراق مرّجل الطاقات والإمكانات المتعددة، وقد حان الوقت لإحراز تقدم في طريق التنمية والإعمار والبناء، بتحرير هذه الطاقات، وتوفير ما تحتاج إليه من إمكانيات؛ إذن التنوع الموجود في العراق، والإبداعات الرائعة، والموروث الحضاري، والتاريخ، وتعدد خيراته، والتنوع المجتمعي، يضيف عليه طابعاً حضارياً، واقتصادياً، وسياسياً، ومتنامياً. كل هذه الأمور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع السياسي، النظام السابق حاول أن يمنع هذه الطاقات من أن تتحرر، وتدخل في كل شيء فأعاق حركة بناء المجتمع، وأعاق المشاريع التنموية، بل بدّد الثروات الهائلة، والمتعددة التي يمتلكها العراق.

العالم اليوم استخدم الكمبيوتر في المستشفيات، ويعرف كل شيء عن صحة الإنسان، أما العراق فقد استخدم الكمبيوتر في أوائل السبعينيات ولكن لأجهزة الأمن والمخابرات، لتضع بيانات كاملة عن المواطنين من خلال رصدتهم!!.

السياسي اليوم هو من يعمل على إعادة الشخصية الوطنية، العراق اليوم دخل مرحلة جديدة فيها ملابسات، وتعقيدات، ومشاكل لكن بكل تأكيد هناك ارتحال من الفردانية إلى التعددية، وهناك مواسم انتخابية على اقل تقدير في عام 2005 شهد العراق مواسم انتخابية مختلفة. ما أريد أن أخلص إليه هو أن المجتمع حين يكون مثقفاً، ومتماسكاً يحترم كل الآراء وإن تنوعت، ويجيد فن التعاطي مع الآخر، ولا يقصي أحداً من وقع الاختلاف، نحن نبدأ رحلة جديدة ومازلنا في بداية الطريق.. نحن لا ننكر أننا في بداية الطريق والعراق بهذا الموروث من المشاكل، وهذه التحديات، والخيرات، والثروات المتعددة، والديانات المختلفة والقوميات المتعددة، يواجه تحدياً كبيراً.. فلنعد العزم على رحلة حقيقية للمستقبل قد تأخذ بعض الوقت، لكن يجب أن ندرك الطريق الذي نمشي إليه ببوصلة صحيحة؛ فنحن في عام 2009 أفضل من عام 2008 ونحن في عام 2008 أفضل مما كنا عليه عام 2006، هذا هو المعيار الصحيح. نحن نعوّل على أبنائنا وبناتنا بأن يعقدوا العزم على معالجة الظواهر الشاذة، ويشمروا عن ساعد الجد ويكونوا هم المعادل الثقافي، الذي يعطي مفهوماً عملياً في الميدان، يجب أن نكرّس كل مالدينا من إمكانيات وطاقات لأجل إعادة البنية التحتية للمجتمع، وأن نتحلى بعقلية وسجاية حب الوطن، والوفاء، والشجاعة، وعدم الغدر، والأمانة، والتفاني من أجل الآخر، وصلة الرحم.

المجتمع الحيوي هو الذي تنبض حيويته على لسان كل مختص، وفي كل حقل من الحقول، وتجد هؤلاء جميعاً يعملون من أجل الانتقال بالمجتمع مما هو عليه خطوات أرقى وأعلى باتجاه الصعود.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .